الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة باتنة1

كلية العلوم الإسلامية

قسم اللغة والحضارة الإسلامية؛

مخبر العلوم الإسلامية في الجزائر :تاريخها، مصادرها، أعلامها.

الملتقى الوطني الأول حول:"التكامل المعرفي بين العلوم الإسلامية والعلوم الإنسانية والكونية" يومي:17-18 أفريل2017 .

المشارك: نبيل ربيع.

المشرف: الدكتورة سامية ديبي.

الدرجة العلمية: طالب دكتوراه الطور الثالث، سنة ثانية، تخصص: اللغة والحضارة الإسلامية.

باحث بمخبر العلوم الإسلامية في الجزائر: تاريخها، مصادرها، أعلامها.

الانتساب: كلية العلوم الإسلامية، جامعة باتنة1.

البريد الإلكتروني:rabienabil802@yahoo.com

محور المداخلة: 1-المداخل التأسيسية للتكامل المعرفي

عنوان المداخلة: **مداخل حول التكامل المعرفي -مقاربة معرفية-**

رئيس اللجنة العلمية	الامضاء والختم
الدكتور عمر حيدوسي	

توطئة:

بسم الله، والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين.

إن التكامل المعرفي هو الإدراك التام الواعي للحقائق المتصلة بالوجود الإلهي والإنساني، وما ينتظم به من سنن، وما ينشأ عنه من علوم ومعارف، تظهر به الآثار العملية والجمالية للمعرفة في ربط أجزاء ذلك الوجود وانتظام علاقاته وفق هداية الوحي.

أما في عصرنا الحاضر فقد فقدت المعرفة المتعلقة بالرؤية الشاملة للكون والوجود والإنسان أصالتها وجوهرها السامي،نظرا لغياب الغاية والهدف المنشود، ، وإقصائها للوحي، ناهيك عن تأثرها بالمناهج الغربية التي نشأت في ضوء ما يحمله واضعها من فلسفة مادية ظاهرها إصلاح وباطنها دمار وفساد.

ليتأثر بها أبناء المجتمع الإسلامي وينبهروا بفلسفتها ونظرياتها المادية، فزرعوا بذور الفساد في المجتمع، وعاثوا فيه فساد بسبب تلك الأفكار والمبادئ الغربية التي تفتقد للإتجاه الذي يحدد غايتها وأهدافها.

وقد زاد الاهتمام والعناية بالتكامل المعرفي طبقا لشيوع مقولة اتساع العلوم وضرورة التخصص التي وجهت في غير مسارها،فعلى مستوى التكامل بين التاريخ والحضارة مثلا أصبح المؤرخ لا يهمه في الرواية إلا الخبر، والباحث في الحضارة الذي لا يهتم إلا بذكر أسباب وعوامل السقوط ..الامر الذي أحدث فراغا وفجوة بين تجاسر العلوم والمعارف، مما زاد الامر صعوبة في القدرة على التواصل.

وتحاول هذه المشاركة العلمية المتواضعة في هذا الملتقى المبارك أن تميط اللثام عن حقيقة وقضية التكامل المعرفي بين العلوم: الإسلامية والإنسانية والكونية من حيث المفهوم والأهمية والضرورة والآثار والأسس والمجالات والمقاصد، وفق العناصر التالية:

-توطئة.

-أولا:حول مفهوم التكامل المعرفي.

-ثانيا: الدعائم الأساسية لتكامل المعرفي.

-ثالثا:مجالات التكامل المعرفي.

-رابعا:الأهداف العظمى للتكامل المعرفي.

-خاتمة: أبرز النتائج والتوصيات.

أولا: حول مفهوم التكامل المعرفي.

تأخذ بعض المصطلحات موقعا أثيرا في الكتابات الفكرية والثقافية، ويشيع استعمالها دون أن يتم تحديد دلالاتها بصورة واضحة. ولذلك ليس من الغريب أن تجد المصطلح يستخدم بدلالات مختلفة، وربما متناقضة ولعل هذا هو الحال مع مصطلح التكامل المعرفي الذي هو في الحقيقة مصطلح معاصر أطلقه الباحثون على أنواع العلوم وتداخل مواضيعها وتشابك معارفها فيما بينها. يتألف هذا المصطلح من جزئين، فلا بد من تعريف كل جزء على حدة ثم تعريفه كمركب إضافي.

أ-مفهوم التكامل:

أصله من الفعل كَمُلَ، وتدور مادة هذا الفعل حول التمام والجمال، جاء في مختار الصحاح:(تكامل الشيء: كمل، والتكميل: الإكمال والإتمام)[1]، أما عند "ابن منظور(ت711هـ) فنجد عنده:(تكامل الشيء وأكملته أنا وأكملت الشيء: أي أَجْمَلْتَهُ وأَتْمَمْتَهُ)[2].

---

[1]الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، تحقيق : محمود خاطر،بيروت، مكتبة لبنان،1995،ج1ص:586.

[2]ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور،لسان العرب، بيروت،دار صادر،دت،ج11،ص:598.

فالتكامل في اللغة عبارة عن تمام الشيء وخلوه من كل نقص، وما ينطبع به ذلك الشيء ن معاني الجمال والحسن.

ب-مفهوم المعرفة:

أصل اشتقاقها من الفعل الثلاثي عَرَفَ، جاء في المفردات:(إدراك الشيء بتفكّر وتدبر لأثره وهو أخص من العلم ..ويضاده: الإنكار)[3].

وفي ضوء ذلك نخلص إلى أن المعرفة التي هي عملية إدراك مستندة إلى تفكر تستلزم أن يتحقق مقصودها بأن تتكامل على الوحي الموصوف بالكمال، منطلقة منه لأجل اكتشاف قوانين الكون ونواميسه.

ج-مفهوم التكامل المعرفي:

عرفه بعض الباحثين بأنه:(تكامل مصادر المعرفة وهما: الوحي والوجود، وتكامل أدوات المعرفة وهما:العقل والحس، وتكامل مصادر المعرفة وأدواتها)[4].

وبعبارة الأخرى: هو الإدراك الشامل والكلي للحقائق المتعلقة بالوجود الإلهي والكوني والإنساني، وما يتخلله من سنن، وما يترتب عنه من علوم ومعارف المنساقة وراء هداية الوحي.

والشكل رقم 1 يوضح مفهوم التكامل المعرفي حسب رؤية الباحث

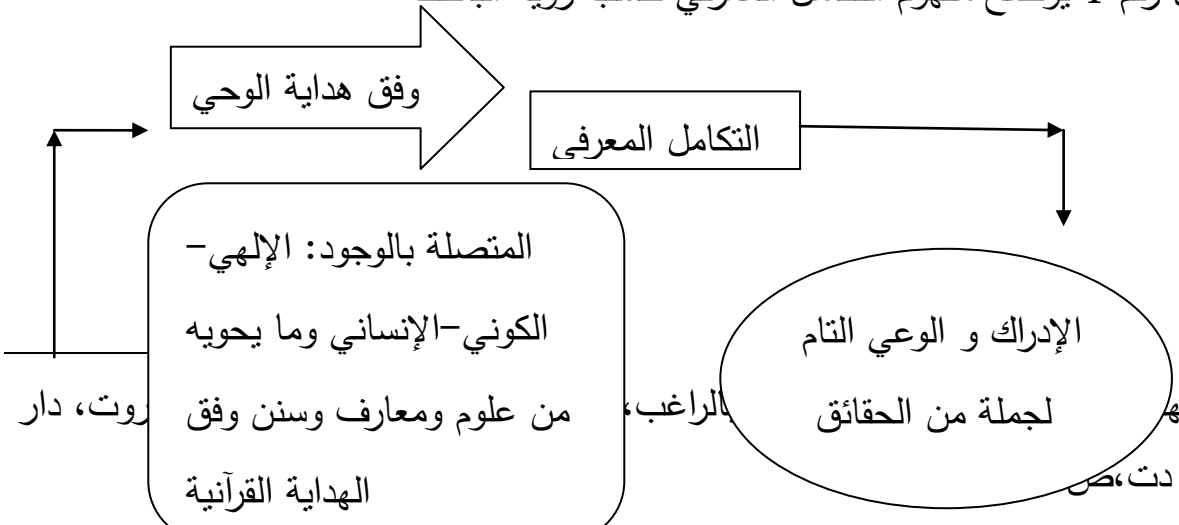

[3]الأصفه الراغب، روت، دار المعرفة، دت،ص

[4]ينظر :ملكاوي،، فتحي حسن، مفاهيم في التكامل المعرفي، مجلة إسلامية المعرفة، العدد 60 لسنة 2010،ص:34-35.

المصدر: الباحث.

ثانيا:الدعائم الأساسية لعملية التكامل المعرفي:

إن أبرز أثر التكامل المعرفي منهجيا أنه بوحّد منهج قراءة الكون والإنسان في ضوء هداية الوحي وفق قراءتين:

1-قراءة كتاب الوحي المسطور، وذلك بتأمل والنظر في صفحات القرآن الكريم، كخلق السماء والأرض والأنسان وغيرها كثير.

2-قراء-تأمل-كتاب الخلق (الكون) المنظور.

وبذلك يكون موضوع التكامل المعرفي قد استوى على سوقه وفق دعامتين أساسيتين.

ولعل من أصالة التكامل المعرفي بوصفه حقلا معرفيا منطلقه الأول والأساس كتاب الوحي الذي هو القرآن الكريم (الكتاب المسطور)، الذي تضمن جملة من الحقائق في كل موضوع ذكره،وفي كل قصة عرضها.وبناء على ذلك قامت عملية التكامل المعرفي على الدعائم المنهجية التالية:

الدعامة الأولى: الإيمان بالخالق سبحانه وتعالى:

يعد الإيمان بالله تعالى القاعدة الأساس، والمنطلق الرئيس في توجيه عملية التكامل المعرفي وبنائه في واقع الحياة الإنسانية وإقامتها عليه؛ لوضع حدّ لانفلات المعرفة وتشتتها، ووضع حدّ لخرافة تناقض الدين والإيمان التي ازدهرت في بيئة الغرب وثقافته، وتضارب الغيب والشهادة في تصوّر أبنائه. فالله تعالى خالق الكون والحياة والإنسان هو نفسه سبحانه منزل الكتاب؛ ليهتدي به الإنسان ويؤسس علومه في ضوئه، ولتتجلى حقيقة أن كل معرفة تنشأ فهي معرفة توحيدية تشير

بكليتها إلى أن الله تعالى هو الواحد. (إن أهمية مبدأ التوحيد في الإسلام تتمثل في أنه يشكل إطارا لفهم الحياة والكون، ويرسي مبادئ العلاقات الإنسانية والأسس التي ترتكز عليها، وإن أي إخلال بهذا المبدأ والمفهوم له آثاره الخطيرة في معنى الحياة الإسلامية، ونوعيتها والغاية منها)[5].

الدعامة الثانية: أسماء الله الحسنى:

تعدّ أسماء الحسنى أساسا مهما من أسس توجيه عملية التكامل المعرفي؛ لإتصالها بمعرف الإنسان وعلومه. وقد بيّن العلماء أمثال الغزالي والرازي والقرطبي والنورسي دلالة أسماء الله الحسنى، وما لها من انعكاس وتجلّ لأثارها في الوجود الكوني والإنساني.

ويجري هذا التكامل في مظاهر عدة منها على سبيل المثال قوله تعالى:{ **اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ (8) عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ (9)**}[الرعد:8-9].

لنرى ماذا يقول علماء الأجنة من الأطباء في الآية الكريمة، وكيف يفهمون تلك الأسماء الحسنى: عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال؟ ألا تتجلى عظمة في نفوسهم؟ ثم في علومهم؟ وكيف تتجلى آثار هذه الأسماء في كتاب الخلق الذي هو موضوع دراسة ونظر وتفكر من قبل الإنسان؟.

ثالثا :ميادين التكامل المعرفي.

اتصف الخطاب القرآني بالعمق والشمول في القضايا التي توجه بها إلى الإنسان، ولم يكن هذا الشمول إلا تأكيدا لوحدة كيان الإنسان التي تجلت في آيات القرآن الكريم.

---

[5]أبو سليمان،عبد الحميد أحمد، أزمة الإرادة والوجدان المسلم، دمشق، دار الفكر،2005،ص:68.

ويظهر من الآيات التي التي نعرضها تلك الوحدة المتكاملة في مجالات الحياة كلها، ويلاحظ في هذه الميادين أن الإيمان بالله سبحانه هو منطلق التكامل وأساسه وقاعدته الصلبة المتينة ، وأهم هذه الميادين على سبيل التمثيل لا الحصر:

1-تكامل الوحي والعقل لتحديد موقع الإنسان في عالم الشهادة وتمكين وجوده وسعيه من تحقيق الغاية منهما، فالوحي يمد الإنسان بالمعرفة الكلية والغايات الربانية، والعقل هو وسيلة الإنسان في العلم بعالم الشهادة، وما ينطوي عليه هذا الكون من شؤون الفطرة من سنن وطبائع وإمكانيات ليسخرها ويقوم على أمرها بالإصلاح والإعمار على ما يقتضيه التوجيه الإلهي والغاية الإلهية الخيّرة[6].

2-تكامل مصادر المعرفة، وهما: الوحي والكون، أو القول والفعل.فالكون خلق الله سبحانه وتعالى وهو يمثل فعله في هذا الوجود، بمعنى قوله سبحانه وتعالى يتكامل مع فعله، وفعله كذلك يتكامل مع قوله تعالى، فكيف ننتج علوما طبيعية أو إنسانية بعيدا عن قول الله سبحانه وهديه.

3-تكامل الإعمار المادي للكون مع استقامة النفس وانضباطها الخلقي والسلوكي.

4-تكامل معرفة عالمي الغيب والشهادة، فالروح مثلا التي لا يعرف طبيعتها وحقيقتها تمثل عالم الغيب، بينما الجسد يمثل عالم الشهادة، فكيف يمكن للعلوم الإنسانية والاجتماعية أن تستبعد الجانب الغيبي في كيان الإنسان وتدرسه على أنه جسد ومادة فحسب؟

ولذلك شمل التشريع القرآني تطويرا للإنسان في هذين الجانبين أن يعقل ويفكر ويعي ويدرك، وأن يملأ نفسه إيمانا ويقينا وتزكية.

رابعا: الأهداف العظمى للتكامل المعرفي:

---

[6] ينظر :أبو سليمان، عبد الحميد أحمد، أزمة العقل المسلم، الولايات المتحدة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي،1991،ص:113-114.

لتكامل المعرفي مقاصد وأهداف تنعكس على مجمل حياة الإنسان العلمية والمعرفية فضلا عن الإنسانية والاجتماعية، ومن أهم الأهداف ما يلي:

1-تصحيح مفاهيم الأجيال حول الرؤية الكلية للكون والحياة والإنسان وفق هداية الوحي.فالتكامل المعرفي المتحقق بهداية الوحي يستطيع أن يفسر مظاهر الوجود الكوني والإنساني تفسيرا بعيدا عن الظنون والأوهام، يكشف عن الرؤية الكلية التي انتظم بها الوجود.

2-ضبط مسار العلوم الطبيعية والإنسانية والاجتماعية، ومقارنة نتائجهما من الصحة والدقة، استنادا إلى ركيزة الإيمان بالله الخالق، الذي يشكل معيارا مهما لتلك العلوم وما توصلت إليه.

فالتكامل المعرفي المنبثق من قاعدة الإيمان بالله يوجه مسارات العلوم نحو المفيد والنافع سواء للإنسان خاصة ،للإنسانية على وجه العموم.

كما أورد القرآن الكريم حقائق كثيرة في مجالات عدة كالتاريخ والسياسة والاقتصاد والاجتماع والتربية والسلوك والنفس والزراعة والطب وغيرها كثير، وتفصيل ذلك نسرد الأمثلة التالية:

أ-في مجال الاقتصاد:

جاء قوله تعالى:{ **وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا**} [البقرة:275].تمثل هذه الآية قاعدة لعلوم الاقتصادية والتسيير.

ب- في مجال السياسة:

كقوله تعالى:{ **وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (159)**} [أل عمران:159]. تشكل هذه الآية الكريمة قاعدة في السياسة وهي الشورى.

ج-في مجال الفلاحة:

مثل قوله تعالى:{ **قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ (47)**} [يوسف:47].حيث تشكل هذه الآية قاعدة لعلوم الفلاحة والزراعة على وجه التحديد.

د-في مجال علم الاجتماع:

يمثله قوله تعالى:{ **وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا (59)**} [الكهف:59]. وتمثل هذه الآية قاعدة في علم الاجتماع.

وعليه فإن مهمة العلوم الإنسانية في أي مجتمع هي توليد الفكر الإنساني في مختلف مجالات الحياة الفردية والجماعية، ويقوم الفقه باستخلاص القواعد والضوابط التي تنظم العلاقات القانونية والبنى المؤسسية في المجتمع منها، وهما بذلك يتكاملان تكامل أجنحة الطائر في خدمة مسيرة الأمة[7].

3-جمع شتات الإنسان جسدا وروحا، وعقلا ووجدانا، وفكرا وسلوكا، وفق ما هدى إليه الوحي دون أن يضيع الاتجاه الذي بيّنته الحياة. لقوله تعالى:{ **إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (79)**} [الأنعام:79].فقد بيّن القرآن الكريم ما يعيشه الآخرون من تشتت معرفي ضاعت معه المسار والاتجاه.

4-تحقيق الأمن والاستقرار في الحياة الإنسانية من خلال التفسير الصحيح لكل ظواهر الكون والإنسان والحياة بعيدا عن الجحود والكفران، لأن الهدف من تكامل العلوم وتجاسر بعضها تسعى لأن تكون هادية للإنسان وموضحة له الطريق.

خاتمة:

على ضوء ما تقدم من رصد وضبط مصطلحات مفاهيمية لتكامل المعرفي وبعض مداخله ، يمكن أن نسجل النتائج التالية:

---

[7] أبو سليمان،الرؤية الكونية الحضارية للقرآنية،مصر،دار السلام،2009،ص:83.

1-تزايد الاهتمام بفكرة التكامل المعرفي، أو التكامل بين المعارف والعلوم في السنوات الأخيرة ،بغية الانفتاح على العلوم.

2-أن مصطلح التكامل المعرفي أصيل في تراثنا الإسلامي، وله جذور قديمة قدم التاريخ.

3-التكامل المعرفي ركيزة ودعامة أساسية للعلم.

4-تفعيل وسائل الإدراك في الإنسان وتوجيهها نحو الوجود الإنساني .

5-تصحيح مفاهيم الأجيال حول الرؤى الكلية للوجود والحياة والإنسان وضبط مسار العلوم.

وما هذا العمل إلا نزر يسير، وحبة رمل من كثيف، وفيض من غيض. أرجوا أن أكون قد وفقت في عملي هذا، فإن أصبت فمن توفيق الله ومنتّه، وإن كانت الأخرى فمن أنفسنا والشيطان.

ومن الله وحده نستمد العون والتوفيق.